

أزمة الحزب

أيها الرفاق^(١)

أحب أن أوضح منذ بداية حديثي بأن حضوري هذه الجلسة وفي هذه الظروف العصبية الحاسمة بعد مقاطعتي الواعية الواضحة لاجتماعات هذه القيادة منذ ٨ أشهر أي منذ انتخاب هذه القيادة من المؤتمر القومي الثامن حتى الآن، أحب أن أوضح وأسجل بأن حضوري الآن هو من أجل أن أقول وأعيد ما قلته دوماً في السنوات الثلاث الأخيرة بعد حركة آذار، وخاصة في المؤتمر القومي الثامن ثم في اجتماعات غير رسمية كنت أدعو إليها بعض الرفاق من هذه القيادة لأذكرهم بالحقائق التي تُستخلص من تجربة الحزب الطويلة ومن تجربة الحزب بعد الحركة ولكي نصل جميعاً إلى تحليل عميق واقعي لأزمة الحزب وتوحد آراؤنا على هذا التحليل لتنتقل منه إلى سبيل المعالجة والانقاذ، ولكي يتحمل كل منا مسؤوليته التاريخية. وقد كانت - وماتزال - لي أسباب جدية وفي غاية الجدية لمقاطعة اجتماعات القيادة رغم اعتقادي بأن للقيادة القومية دوراً خطيراً في حياة الحزب وفي حياة الأمة العربية، ورغم روابط الأخوة والصداقة والزمالة التي تربطني بكل عضوفها. وأنا أعتبر دوماً وقلت ذلك في مناسبات عديدة وفي مؤتمرات قومية وفي اجتماعات قيادية كثيرة خلال سنين طويلة - اعتبرت بأن القيادة القومية لحزبنا تجسد الحزب كله، تجسد أهم ما في حزبنا من صفات ثورية، ولذلك فقد كانت دوماً موضع الهجوم والمحاربة. وكنت أقول في كثير من المناسبات بأن القيادة القومية للحزب هي القيادة الوحيدة، ليس

(١) كلمة في اجتماع القيادة القومية بتاريخ ١٩ كانون الأول ١٩٦٥.

بعدها من قيادة، لأن حزب البعث هو للوطن العربي كله، لقضية الثورة العربية كلها. والقيادة الوحيدة التي تمثل هذا الشيء هي القيادة القومية بنظرتها، بمنطقها، بتكوينها القومي، والقيادات الأخرى لا تكون قيادات إلا بمقدار ما تستجيب لتوجيهات القيادة القومية، وبمقدار ما تخضع لسلطة القيادة القومية والطريق الذي تسنه القيادة القومية. هذا من حيث المبدأ، وإن كنت وإياكم نعلم جميعاً بأن واقع القيادة القومية لم يبلغ لا في الماضي ولا في الحاضر هذا المستوى الذي يؤهلها تماماً لحمل هذه المسؤوليات التاريخية، فإن واجب الحزب أن يرتفع بمستوى قيادته العليا باستمرار لكي تقترب من الشروط المثالية. إلا أن كون واقع القيادة القومية مازال منذ أن وجدت حتى الآن، دون المستوى المطلوب لمسؤولياتها التاريخية فذلك لا يعني مطلقاً بأن دورها وسلطتها يجوز أن يُنتقص منها. إذ لا بد لهذا الحزب من قيادة ومن سلطة والاضاعت القيم والمقاييس وانحل الحزب الى فوضى عندما تنعدم القيادة أو توضع سلطتها موضع التشكيك.

أيها الرفاق

لقد قاطعت جلسات القيادة القومية، وقبل مقاطعة هذه الجلسات وقبل انتخاب هذه القيادة، تعرفون بأني في المؤتمر القومي الثامن لابل قبله بزم من صممت على الانسحاب من المسؤولية الرسمية في قيادة الحزب وطرحته ذلك أمام المؤتمر القومي، ولكن بفعل جو عاطفي لم يتمكن المؤتمر أن يستوعب تماماً الأسباب والمقاصد التي دعنتني الى ذلك الموقف فأصرّ المؤتمر على ترشيحي ولكنني اعتبرت نفسي منذ ذلك الحين منسحباً. وكان ثمة بعض الاحتمال بأن أعيد النظر في هذا الموقف وأن أحضر بعض الجلسات الهامة لولا اني لاحظت منذ البدء أن ثمة فروقاً اساسية بين تفكيري في معالجة أزمة الحزب وبين تفكير مجمل القيادة. فقلت لن أكرر الخطأ الماضي ولن أقسر قناعتني ولن أسمح بأن تأخذ قواعد الحزب صورة خاطئة وانطباعاً خادعاً او مخدراً عندما يسمعون بأني مازلت في القيادة وأحضر اجتماعاتها، وانا انما أردت من انسحابي في المؤتمر الثامن، أن أنبه هذه القواعد الى أخطار جسيمة تهدد وجود الحزب ومصير الثورة العربية، عندما يتهدد وجود حزب البعث. ولأقول شيئاً جديداً عليكم أو

مجهولاً لديكم عندما أقول بأن تصميمي على الانسحاب هذا التصميم النهائي كان على أثر الأزمة التي نشأت منذ عام عندما طرحت القيادة القومية أزمة الحزب لتجد لها الحلول الجذرية، فقبولت بالتمرد من قبل القيادة القطرية الممثلة للسلطة، فطعن بذلك شيء ثمين لا يقدر بثمن في حياة هذا الحزب، طُعن قيمة كبرى، لأن القيادة القومية هي القيادة الوحيدة.

ولذلك كان لابد من موقف ينبه أعضاء الحزب القريبين والبعيدين الى أهمية الشيء الذي حصل والى خطورة هذا الشيء والى الأضرار الفادحة التي تنجم عن طعن هيبة قيادة حزب البعث وسلطتها.

أيها الرفاق

أرجو ان تعذروني اذا أطلت والظرف لايسمح بالاطالة، وأنا مقدر ذلك وسأحاول أن اضغط على نفسي وعلى هذه الذكريات والخواطر العديدة المتزاحمة في فكري لأبين لكم المأساة التي يعيشها حزبنا في السنوات الأخيرة متمثلة في المأساة الشخصية التي أعيشها أنا كأحد القادة الذين رافقوا هذا الحزب منذ نشوئه. ولذلك لن أعود الى الماضي، وأعتمد على حسكم العميق وعلى تقديركم للمسؤولية لتدركوا وتشعروا بما كنت أشعر به وأعانيه منذ الأشهر الأولى التي مرت على الثورة ومنذ ان بدأت خيبة الأمل تظهر ويظهر الفارق الكبير بين حقيقة حزب البعث وبين التطبيق المشوه لأفكار ومبادئ وسياسة هذا الحزب في العراق أولاً ثم بعد حين في سورية. اعتقد بأن هذا العذاب هو أقسى ما يمكن ان يتعرض له الانسان .

انسان ملتزم بمبادئ ناضل في سبيل هذه المبادئ ووضع عمره كله في معركة هذه المبادئ، أقسى عذاب يمكن ان يتعرض له هو عندما يرى التشويه الفظيع لأفكاره ومبادئه حتى يكاد ينكر ان هذا الحزب هو حزبه وان هذه الحركة هي حركته. واصبنا بنكسة العراق رغم توقعنا لها قبل وقوعها باشهر لان التجربة والعقل السليم والمنطق الثوري كانت هذه الأشياء كلها تؤكد بان ثورة العراق كانت معرضة للانهار.

وبعد ذلك أنصب حرصنا كله على الثورة في سورية وصرنا نتعزى بأن درساً في غاية القسوة، نادراً في التاريخ، تضيع ثورة كثورة رمضان في عشرة اشهر، ان درساً

كهذا سينضج وعي البعثيين في كل مكان وخاصة في سورية حيث يتحملون مسؤولية الحكم . وان هذا الدرس سوف يجنبهم الكثير من الأخطاء وسوف يرتفع بنفوس القادة المسؤولين الى مستوى المهمة التاريخية وسوف يطهرهم من الكثير الكثير من الأجواء والميول والمطامع الصغيرة التي لا تتناسب مع اهداف حركة كحركة البعث خاصة بعد ان منيت بذلك الفشل في العراق .

ولما لم يعطِ درس نكسة العراق الأثر المطلوب اخذ اليأس يتسرب ليستولي على نفوسنا وهناك وقائع مهمها حاولت ان اصرف النظر عنها اختصاراً للوقت تلح علي فاعذروني اذا ذكرت بعض الأشياء .

لقد سافرت أنا من هذا القطر، بتصميم على الابتعاد وقد فاتحت بعض رفاقي في هذا ومنهم من هم الآن في هذا الاجتماع ومع انني سميت قبل سفري مع بقية الرفاق في القيادة وفي المجلس الوطني لتحسين الأوضاع نسبياً ووضعت كل ما عندي من طاقة ومن جهد وتأثير للخروج من وضع كان ميؤوساً منه تقريباً عندما امسى الحزب وحكم الحزب في عزلة رهيبة عند حوادث حماه وبعدها بقليل ، فقد قلت لرفاقي قبل سفري اني يائس من هذا الوضع ، وكلمة يائس لاتعني اني تخليت عن المسؤولية ولا تعني ان اليأس مطلق طبعاً . و اردت ان اُنبه بذلك الابتعاد الى خطورة الحالة ، وقد قلت هذا لرفيقي منيف عندما زارني في المانيا موفداً من قبل القيادة القومية وهو يذكر كلماتي بلاشك ، قلت له هذه التجربة أوصلتني الى هذا الاقتناع وجعلتني ، بعدما رأيته ولما لمستته خلال سنتين واكثر من عقليات ومن مستوى في النفسية وفي المسؤولية ، أخرج بنتيجة لاتحتمل المناقشة . لأن عليها ألف دليل ودليل ، بأن هذا المستوى لايمكن أن ينجح ثورة ولا نصف ثورة ومع ذلك عندما تحادثنا قلت للرفيق منيف بأنه لايمكن أن أتخل عن الحزب ، انها قد أرجع لأموت مع رفاقي ، وهذا واجب وهذا شرف . بعد أن بقيت مدة كافية لتشعر قواعد الحزب بأن هنالك خلافاً كبيراً استوجب أن يبتعد هذا الشخص الذي لايدعي فضلاً على الحزب منذ اليوم الأول لنشوئه ، ولم أصمم على العودة إلا بعد أن كتب لي الرفاق ، ثم ذهب الرفيق شبلي ليؤكد لي بأن القيادة القومية اقتنعت بوجهة نظري وبأن الأزمة يجب أن تطرح وأن تعالج بصراحة ، بروح جدية

لابأنصاف حلول ولا بالمسايرة وتجاهل الواقع، ذلك لأنني مضطر ان أسجل بهذه المناسبة بأنني عندما سافرت لم تكن القيادة القومية متجاوبة معي ولم تكن متحسنة بالخطر بنفس الدرجة التي كنت أنا أشعر بها.

ثم كانت النتائج التي تعرفونها، واتخذ الحكم على أثر تلك الأزمة خطوة جيدة مباركة في طريق تطبيق الاشتراكية عندما أصدر قرارات التأميم. فتفاءلنا بالنتائج ولم نتفاءل بالمقاصد. وقلت هذا في اجتماع القيادة القومية - والكلمات مسجلة - قلت بأن الخطوة جيدة ومباركة وندعمها بكل قوتنا، وليس لنا خيار في ذلك طالما ان هذه القرارات أيقظت العداء لدى أعداء الحزب والاشتراكية، فاذن لا بد للحزب بكامل صفوفه أن يدخل المعركة ويحارب ويدافع، ولكن هناك خطراً من نوع آخر لا يجوز ان نغطيه، هنالك مرض مستتر، فهذه الخطوات لم تتخذ اقتناعاً بالاشتراكية وإيماناً بمبادئ الحزب وضرورة تطبيقها، بقدر ما كان فيها من المناورة لتغطية أزمة. ونرى بأن مفعول القرارات لم يدم أكثر من أشهر وان الأوضاع عادت الى الترددي وبشكل أخطر بكثير من السابق.

أيها الرفاق

حزب البعث عندما ظهر وعندما أخذت فكرته تنتشر وتتكامل بالتفاعل مع الأحداث ومع النضال كانت أهم فكرة منذ البداية هي فكرة الثورة وأهم شيء في الثورة كما عرفها حزب البعث منذ السنة الأولى ومنذ الكتابات الأولى بأنها الصدق والصراحة والأخلاقية، لاننا كنا قبل أن نصمم ونعقد العزم على تأسيس الحركة، كنا نعيش في بلادنا وكنا داخلين المعركة وكنا نعرف أن بين السياسيين والزعماء الذين كانوا يرسمون السياسة والنضال الوطني قبل تأسيس حركتنا بعشر سنوات وبعشرين سنة، كان بينهم أذكى وأفذاذ ولكنهم كانوا يفتقدون تلك الميزة. يفتقدون الاخلاقية والتجاوب مع الشعب ويفتقدون الثقة بالشعب لأنهم لم يكونوا من الشعب وبالتالي لم يكونوا يحترمونه ويصدقونه. لم يكونوا ينتظرون منه شيئاً كبيراً فكانوا يلجأون الى المناورات وأساليب السياسة الملتوية وكان حزب البعث بظهوره رداً على تلك العهود البالية وعلى تلك العقليات وتلك النظريات الهرمة اليائسة. وبهذه الميزة استطاع حزب

البعث ان يشق طريقه الى قلوب ابناء هذا الشعب حتى انتشر في اكثر اقطار العروبة من بداية في غاية البساطة والتواضع الى تاريخ طويل أصبح جزءاً من تاريخ امتنا. فكيف يتردى هذا الحزب وكيف ينقلب الى الصورة التي نشاهدها والتي هي نقیض تلك السمات وتلك الصفات والمميزات التي اتصف بها حزبنا، صورة الأساليب المصطنعة، الأساليب القائمة على المناورة وعلى تشويه الحقائق والاختلاق والافتراء والتضليل واستعمال كل شيء إلا الصدق وإلا الصراحة وإلا إحترام المبادئ والأحترام الشعب لايمكن في يوم من الأيام أن يقبل هذه الأساليب وان خضع لها اضطراراً فترة قصيرة من الزمن.

أعود لاقول أيها الاخوان بأن الميزة الاولى التي ظهرت في حزب البعث من السنة الاولى ومنذ الكتابات الاولى، منذ التماس الاول مع الشعب ومع المسؤولية التاريخية التي ندب البعث نفسه لها، هذه الميزة الاخلاقية الميزة الثورية، هذه الميزة ليست للزينة وانها لم توضع لكي يقال بأن هذا الحزب أخلاقي وبأن أعضاء هذا الحزب طيبون وشرفاء بل كانت هذه الميزة شرط النجاح. وقد كان الحزب واقعياً عندما وصف فكرته ووصف نضاله منذ البداية بهذه الشروط وبهذه الاوصاف لان أمة كالامة العربية عانت ما عانت من عصور الانحطاط مئات السنين وهي صاحبة رسالة وتريد ان تنهض: فيجب ان تكون نهضتها أصيلة وعميقة وشاملة ولم تعد ترضى بالحلول الوسط وبالترقيع. فاذن لا بد أن تتمكن الحركة التي تندب نفسها لمهمة الثورة ان تصل الى نفس كل عربي والى اعماق الشعب العربي لكي تحرك طاقات هذا الشعب لكي يضع هذا الشعب جميع امكانياته في المعركة لان معركته صعبة للغاية وتكاد تكون مستحيلة لكثرة ما يعترضها من مصاعب وعراقيل ومن أعداء كثيرين واشداء. فالاخلاقية والصدق والصراحة في منطق حزبنا هي شيء واحد وهي شرط النجاح وهي شرط لكي يُقبل الشعب على النضال ولكي يبني الثورة بسواعده.

وعندما كنا نعترض ونستنكر وننبه ونحذر خلال هذه السنوات الثلاث، نحذر من أساليب التزييف والتخطيط الجهنمي الصبباني في آن واحد بأنه يلعب بحركة لها عشرون سنة من النضال. قبل حركة آذار لها تاريخ، لها جسم حي، استطاع ان يعيش

عشرين سنة، يلعب بها وكأنها حيوان في مختبر التشريح : تشرح وتمزق وتقطع وتوصل - لم يكن احتجاجنا واعتراضنا وتحذيرنا لالم شخصي عند أولئك الذين نالهم التجريح والافتراء .

كلا ايها الاخوان . كان الاعتراض بأن هذه الاساليب سوف تدمر الثورة والحزب . فلان وفلان من قادة الحزب القدامى وصلوا الى سن متقدمة نسبياً وقد يكونون قد أعطوا ما عندهم وقد يكونون أصبحوا من الماضي . هذا لا يههم . فالامة العربية ليست عقيمة وتستطيع كل يوم أن تنجب من هم أحسن بكثير ولكن المهم هو هذا الاستدلال الذي استدللناه من هذه الاساليب .

استدللنا بأن الذين يمارسونها والذين هم في السلطة والذين اصبحوا في قيادات الحزب لا يمكن ان يكونوا حاملين لهذه الرسالة قادرين على الاضطلاع بها وعلى انجاحها، قادرين على اكتساب ثقة الشعب لان هذه الاساليب بعيدة كل البعد عن جو الحزب وعن منطق الشعب وروح الشعب . فكنا باستنكارنا نعرب عن قلقنا وخوفنا على الثورة وعلى الحزب لاعن خوفنا وقلقنا على أشخاصنا .

وبالحيل والمناورات والمخططات والطبخت التي تطبخ بين اربعة وخمسة اشخاص في الظلام، في غرفة، وصل الحزب الى هذه النتائج . كنا في فترة من فترات ومراحل الثورة نريد ان نتفاءل ونقول هذه آخر الصعوبات والحكم سوف ينطلق وكل حكم مر بمصاعب ومر بعثرات ولكن أما أن لنا أن نفهم وان ندرك بأن المرض أخطر من ذلك بكثير؟

ليس هذا هو مرض الثورات . وليس هذا ما مرت به الثورات الناجحة والخلاقة . هذا مرض الثورات التي تموت لانها خانت ذاتها وخانت مبادئها وأنكرت روحها ولم تكن هذه الصعوبات التي مرت بها نكسات عارضة . وانما تمشي في خط بياني صاعد باستفحال متزايد وكأنه المرض العضال الذي يفتك بالجسم .

وصلنا من هذه الشطارات والبراعات الخارقة انه في هذه السنة تأتي قيادة قطرية للحزب البعث الحاكم، قسم منها انتسب للحزب بعد حركة آذار بزمن ومعظم أفرادها من تكتل قامت حركة آذار ضد مبادئ هذا التكتل وضد عقلية هذا التكتل، وضد مدان من الحزب قبل ثلاث سنوات .

منطق هذا التكتل . بصرف النظر عن هؤلاء الافراد الذين أقدر لهم عملهم الماضي ، ولكن هناك واقع كيف نتهرب منه ، الواقع هو ان هذه الكتلة انحرفت بسبب من الاسباب ، بعقدة من العقد ، لعقلية متخلفة ليس الآن مجال تحليلها ، ولكنها في وقت الانفصال وقفت مواقف ضد ما اختاره واراده ووصل اليه حزب البعث في جميع الاقطار العربية ، كما ظهر ذلك في مؤتمراته القومية . واذا بهؤلاء الرفاق يصلون نتيجة هذه الشطارات في التخطيط وفي اللعب بالنظام وفي الاحتيال على النظام وعلى الحزب ، يصلون في سنة ١٩٦٥ الى السيطرة شبه التامة على الحزب وعلى الحكم دون ان يعملوا نقداً ذاتياً او يتراجعوا عن خطأ او يعترفوا بخطأ او يتعهدوا بتصحيح انحراف بل على العكس جاءوا بافكارهم القديمة وأكدوا اقول بأحقاد وأهواء قديمة ايضا - وهذا مؤسف - ليدنوا الحزب بماضيه الطويل ، ليخطئوا مؤتمراته القومية ويخطئوا الحزب في جميع الأقطار العربية ، كما تمثلت ارادته في مؤتمرات قومية ولتتناقض حركة آذار هذا التناقض العجيب الذي يفضح الى أي حد بلغ التزييف وبلغ قصر النظر وبلغ البعد عن الواقع بأن يظهر بان الحزب يمكن أن يلعب به بهذا الشكل .

وأعود لاقول بأنه ليس بيني وبين هؤلاء الأفراد ، على الأقل من جهتي ، إلا كل مودة . ولكن الحزب أغلى من الجميع ، وواجبي أن أشير الى هذا التناقض الذي يكشف عن خطورة المرض .

وكنا نعلم أيها الرفاق بأن هناك سلاحاً أصبح مفلولاً لابل سقيماً هو سلاح الشرعية والنظام الداخلي وقد ضاعت انتفاضة العراق لتوهم أولئك الشباب الذين لم يكونوا في مستوى المسؤولية لتوهمهم بانهم بهذا السلاح يمكن ان يفعلوا الأخطاء الجسيمة دون أن يتبهاوا الى أن للحزب قواعد وجماهير وأن هناك شعباً يحاسب ويدقق وأنه لا يهمه النظام الداخلي أو شيء من هذا القبيل وانما تمه الأعمال والتصرفات والنتائج . لقد وصلوا بأخطائهم وارتكاباتهم الى حد انهم عزلوا الحزب عن الشعب وهو الحزب الشعبي في العراق وكانوا يظنون ان المعركة فقط بين ٢٠ - ٢٥ - ٥٠ يجتمعون في مؤتمر قطري . خمسة وعشرون هنا يتآمرون أو يناورون على الخمسة والعشرين الآخرين أو عشرين على الخمسة والعشرين الآخرين أو عشرين على ثلاثين بما سميته أنا في المؤتمر

القومي السادس حرفة استغلال النظام الداخلي عندما كشفت عن هذه الأساليب وأخطارها قبل حدوث النكسة بشهر في المؤتمر القومي السادس . فكان همهم أن يربحوا على رفاقهم في غرفة تضم مؤتمراً من أربعين من خمسين وبنسون الملايين من البشر بنسون ٧ أو ٨ ملايين من الشعب العربي في العراق وبنسون الألوف من قواعد الحزب .

في حوادث أمس قيل بأن هذا تطبيق للنظام الداخلي ، لقد أحزني هذا الحادث للغاية لأن أشياء كثيرة تحدث هي تكرار لمأساة الحزب في العراق . فمن يصدق بأن ماجرى من اعتقال لهذا الضابط هو تطبيق للنظام الداخلي وغيره على الحزب والجيش .

في حوادث حمص أمس قيل بأن هذا تطبيق للنظام الداخلي ، لقد قيل هذا والبلاد حبلت بهذه الأزمة ، وكل يوم يزيد حجمها والناس يرون ذلك ويشعرون به . ونأتي لنقول بأننا نريد تطبيق النظام الداخلي . كلا أيها الأخوة أماننا مسؤوليات تاريخية ، أماننا التاريخ ، أماننا شعب ، أماننا بشر قد يتعرضون للذبح للقتل ، وأماننا قضية ، وأماننا هذا الحزب الذي له ماضٍ وله تاريخ وله تضحيات كثيرة واصبحت حياتنا وأسماؤنا مقرونة به . كيف يمكن أن نغالط في مثل هذه الظروف التاريخية؟ كيف يمكن أن نتجاهل؟ أن نبقي على سطح الأشياء ونرفض النطق بالحقائق العميقة لأننا أمام التاريخ ، أمام الله ، في مثل هذه الظروف ، هو صراع على السلطة اذن . هذه الشرعية وهذا التدرج بالنظام الداخلي الذي نسمع به منذ مجيء القيادة القطرية الحالية حتى الآن ، كيف يمكن أن نصغي اليه دقيقة واحدة ونحن نعلم بأن هذه القيادة هي التي مزقت شرعية هذا الحزب؟ وداست شرعية هذا الحزب . بدون أن أسيء الى أحد ، أبدأ بدون ان أنتقص من اخلاص أحد او ان أقلل من محبتي للجميع . كلا أيها الاخوان لا أقصد الا الظواهر . . الظواهر تدل بأن هذه القيادة التي تجتمع في معظمها كما ذكرت كتلة كانت مدانة من الحزب قبل ثلاث سنوات ، تتحكم اليوم بهذا الحزب وبهذا القطر ثم تنادي بالشرعية وهي التي مزقت شرعية عشرين سنة وتاريخ عشرين سنة . لامجال للمهاكرة في هذا المضمار ، لنصل رأساً الى الحقائق الى الأعماق بدون تدرج بمثل هذه الحجج .

أيها الاخوان

لي وضع خاص بهذا الحزب ومن هذا الوضع الخاص انطلق، وهو معروف وليس مجهولاً، كنت دوماً وخاصة كلما تقدمت بي السن وتقدم النضال في هذا الحزب ازداد بعداً عن كل ما يتعلق بالمصالح أو المراكز وأي شيء من هذا القبيل. وهذا ما جعلني أنظر الى الجميع بالتساوي وبالمحبة وأنظر بتجرد. لو كنت مقتنعاً بعض القناعة بأن هذه الأساليب يمكن ان ينجح معها الحكم لما توقفت كثيراً لأنني أنظر الى أعضاء هذا الحزب نظرة واحدة. لو كنت مقتنعاً بأن الأخوان الذين هم الآن في القيادة القطرية أو في الحكم أو في مناصب المسؤولية يمكن أن ينجح الحكم على ايديهم وان يقوم الحزب، (لأن الحكم بدون حزب لا يبقى اشهرًا معدودة)، لو كنت مقتنعاً بهذا لما توقفت عند هذه الحلول ولما أسهبت ولما فصلت، لكن قناعتي بأن الحزب يتهدم وان الحكم يكاد يكون منتهياً وانه بالتالي لا مجال للحلول الوسط. لا مجال للترقيع، لا ينقذ الوضع الا الحل الثوري الحاسم - لاحقاً بالثورية وجرياً على الزبي الرائج هذه الأيام، كلابل لأن الحل الثوري وحده يمكن ان ينقذ (وقد لا ينقذ الوضع). اما التسويات والترقيعات فهي جتسا ستنهي الحكم والحزب في أقرب وقت بعد ان فقد الشعب ثقته بالحزب وبحكم الحزب، بعد أن فقد الشعب العربي في الاقطار الأخرى والى درجة أكبر ثقته بالحزب وبحكم الحزب، ثم بعد ان فقد أعضاء الحزب الثقة بحزبهم وبأنفسهم لايجدي الا الحل الذي يعيد الثقة الى النفوس، الا الحل الذي يكون بالفعل بداية جديدة للحزب والحكم والذي تطبق فيه المقاييس الثورية الصارمة والسليمة المنصفة، والا تكون معالجة للتخدير لأسبوع، لأسابيع، لأشهر، ولا أكثر من بضعة أشهر. وقد تكون لاسابيع، وقد تكون أقل، وهذا ما يشعر به كل منا وما يقوله ضمير كل منا.

لذلك جئت الى هذه الجلسة لاقول رأيي بهذه الصراحة: أذكر كل رفيق منكم بمسؤوليته في هذا الظرف التاريخي، ولكي أشهد على موقف كل رفيق منكم، تاريخ ربع قرن من نضال حزب البعث، وتاريخ الأمة العربية، في هذه الظروف لايجدي الا التجرد، لا ينقذ الوضع الا بضعة متجردين يسمون فوق كل الاعتبارات والاهواء والمصالح ويجب أن يوجد أكثر من بضعة أفراد في هذا المستوى في حزب البعث.

يجب ان تتحمل القيادة القومية مسؤولياتها التاريخية يجب أن لا تتكرر مأساة العراق يجب أن لا يضيع أمل الامة العربية بهذه الحركة فتكون نكسة قد تدوم عشرات السنين .

القيادة القومية، حتى في واقعها النسبي، تستطيع أن ترتفع الى مستوى المسؤولية التاريخية اذا ارادت وصممت وهي وحدها التي تستطيع ان تأتي بالحل وتنقذ الوضع وأن تعيد للحزب حرمة وأمل أعضائه وبالتالي أمل الشعب به بأن تتقدم بالحل الثوري الكامل اذا أمكن وأن تدين الذين استخفوا واستهتروا وارتكبوا هذه الأخطاء القتالة . استخفوا بالحزب وتاريخ الحزب واستخفوا بالشعب وبتجربة الشعب وبروح الشعب واستخفوا بالعالم كله ومقاييس الثورات وبتجارب الامم واستخفوا بذلك كله وبنوا بناء مصطنعاً لا يصمد للهزات وليس فيه الا السلبية . في قناعتي بأن القيادة القومية هي وحدها التي يجب ان تستلم المسؤولية في هذا الظرف الخطير وأن تحل القيادة القطرية، وأن تزيح المسؤولين دون تهاون ودون تسوية ودون ابطاء، لان تميع الموقف هو لصالح الفوضى ولصالح أعداء الحزب . وكلنا يعرف بأننا محاطون بشتى الاخطار وبالكثير من الاعداء حول سورية وما زال في داخل سورية للأعداء عملاء وما تزال لهم ركائز . وفي داخل الحزب قد يكون لهم، لان التشويه الذي طرأ على الحزب من الصعب جداً بأن نفتنح بأن الايدي الاجنبية لم تسهم فيه .

أيها الرفاق

قد يخرج الخلاص من اليأس . في الحزب الآن حالة تنبّه هي شيء جديد الى ماضي تلك السنوات الثلاث: تنبّه ووعي واستعداد للتصحيح والبدء من جديد لبناء الحزب والثورة مع شيء كثير من اليأس والخوف والقلق . يجب ان يكون موقف القيادة القومية والحل الذي تأتي به والخطوات التي ستبشرها موقظاً ومشجعاً لهذه الامكانيات الحيرة وهذه الظاهرة الجديدة التي تبعث على الأمل .

ظاهرة التنبه والوعي، ظاهرة الغيرة على حزب له رسالة وله ماضٍ ويجب أن يبقى له مستقبل . ولا يجوز أن يكون في موقف القيادة القومية من التردد أو الفتور وأنصاف الحلول ما يغذي في نفوس قواعد الحزب الاستعدادات الانهزامية أو حالات اليأس

والشك بل يجب ان تغذى وتقوى فيها هذه البادرة للعمل من جديد لتدارك الموقف قبل فوات الوقت لانقاذ الحزب وانقاذ رسالته . ويجب أن يتغلب الأمل والايان على اليأس وهذا ما أتيت لأسجله وأذكر به رفاقي ، لا لاني أحسب أنهم لاهون عن ذلك او أنهم لايتذكرون واجباتهم ومسؤولياتهم ، كلا ، فان لهم في نفسي كل الاحترام وكل المحبة وانما لأبرىء ضميري وأقول الكلمة الحقة الصريحة في هذا الموقف التاريخي . ولن أتخلى عن الحزب ولن أدخر جهداً في سبيل هذا الحزب حتى لو اقتضى الأمر ان اقدم دمي ، وهذا شيء بسيط كما تعرفون ، وانقطاعي عن الاجتماعات لايعني انقطاعي عن العمل وعن الاستعداد الدائم من أجل خدمة الحزب والتضحية في سبيله .

١٩ كانون الاول ١٩٦٥ .